

تطور مفهوم الهوية في الفكر السياسي

The evolution of the concept of identity in political thought

فضيية شابحة، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3 (الجزائر)،

fadilachba79@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/16

تاريخ القبول: 2021/11/05

تاريخ الاستلام: 2018/07/17

ملخص:

أخذ موضوع الهوية جدل في الفكر السياسي خاصة بجانبه الفكري والفلسفي، وقد احتدم هذا الجدل إلى حدود كبيرة بين بعض العلماء والمفكرين خاصة ما تعلق بالتأصيل التاريخي والمفاهيمي لمفهوم الهوية تحديدا من حيث (المأل والمنشأ) بحكم أن الهوية مفتوحة وقابلة للتغير والتطور كمفهوم وكنوع. إلى جانب ما تقدم، تناولت هذه الدراسة البحث عن الهوية في إطارها المفاهيمي، وتطورها وصيرورتها وسيرورتها في الفكر السياسي، وكما تطرقت الدراسة إلى فك الترابط والتداخل بين عدة هويات وذلك من خلال التطرق لأنواع الهويات ك: (الهوية السياسية، الدينية، الثقافية، اللغوية، القومية أو القطرية، الإثنية، البيولوجية، الخلاسية والجيلية،... إلخ) كلمات مفتاحية: مفهوم الهوية، الفكر السياسي والفلسفي، أنواع الهوية.

Abstract:

The issue of identity has taken on a controversy in political thought, especially in its intellectual and philosophical aspect, and this debat has raged to great limits between some scholars and thinkers, especially with regard to the historical and conceptual rooting of the concept of identity specifically in terms of (Fate and Origin), given that identity is open and subject to change and development as a concept and as a species.

In addition to the foregoing, this study dealt with the search for identity in

its conceptual framework, its development, transformation and process in political thought. National, Country, Ethnic, Biological, Mutual, Generational, etc.)

Keywords : The Concept of Identity, Political and Philosophical Thought .Types of Identity.

المؤلف المرسل: فضيلة شبابجة

1. مقدمة:

تزخر الدراسات العربية منها والأجنبية بالكثير من والمواضيع والأبحاث التي تناولت مفهوم الهوية ودلالاتها، ويواجه الباحث صعوبة في تحديد مفهوم الهوية وذلك بسبب سعته وشموليته وتعدد المدارس التي تناولته، فضلا عن ظرفه الزماني والمكاني، فالهوية هي في أصلها فلسفة قديمة تعرض لها الكثير من الفلاسفة القدامى ابتداءً من "الكندي" ... إلخ، فمسألة الهوية قد طرحت في الكثير من المناقشات والحوارات العلمية، وأثبتت الجدل أن هوية مجتمع ليست أمراً ثابتاً أو سمردياً بحكم أن الإنسان يتأثر بمحيطه الخارجي وبالتفاعل العلمي للأفكار والثقافات الطارئة.

من أنا ومن نحن؟ السؤال الذي واجهه ويواجهه كل بشري منذ الخليقة فرداً وجماعات، وسيكتمل هذا السؤال من خلال أسئلة أخرى تتعلق بالعمل والمشروع الذي يمثله الإنسان نشأة وانتماءً، وفي ما بعد عملاً وسيروة.

فالهوية مفهوم إشكالي مثير للجدل وللقاش ومعين لا ينضب للرؤى والمواقف لخصوصيته وحساسيته وامتداداته وتشعباته عبر دوائره ومستوياته المتعددة لذا كان عبر التاريخ منطلقاً لكثير من النزاعات والحروب والخصومات وسبباً لكثير من التغيرات التي طرأت على خريطة العالم. فالهوية هي الإطار التعريفي الذي يتمظهر به الفرد وتبرز عبره الجماعة وتتحدد معالمها وأبعادها. (كاترين، 2015، صفحة 15)

نطلق تسمية (الهوية) على الديناميكية التطورية التي يعطي بها الفاعل الاجتماعي (الفرد) معنى لوجوده بربط الماضي بالحاضر والمستقبل، ما ينبثق عن الأحداث أو المدركات الاجتماعية أو عن مشاريعه الخاصة. وهي بذلك تشكل تجميعاً (أو تركيباً) مكيفاً مع العالم وتعطي في الوقت ذاته للفرد شعور بالوحدة والثبات. (كاترين، 2015، صفحة 87)

ومن جانب آخر فإن مفهوم الهوية له ترميز اجتماعي لا يشترط الانتماء البيولوجي، بل تعبير عقيدي حسي وشعوري داخلي تختاره الذات الانسانية تجاه الواقع الطبيعي أو الواقع الاجتماعي. وهذا ما دفع "لابلانين" إلى أن يعترف بحقيقة ضبابية لمفهوم الهوية بقول (إنها من أكثر المفاهيم الفلسفية فقرا على المستوى الاستيمولوجي، لكنه بالمقابل يتمتع بفاعلية إيدولوجية كبرى). (باسل يوسف، 2006، الصفحات 8-9)

2. التحديد اللغوي والاصطلاحي للهوية:

1.2 التحديد اللغوي للهوية:

الهوية في اللغة العربية مصدر صناعي مركب من (هو) ضمير للفرد الغائب المعرف بأداة التعريف (أل) ومن اللاصقة المتمثلة في (الياء) المشددة وعلامة التأنيث (التاء) ضمير الإشارة للغائب بمعنى ذاته، ويستعمل هذا الضمير أحيانا للدلالة على الاختصار وعدم التكرار عند الإشارة إلى محدد. ففي اللغة الإنجليزية فالمصطلح يعني الشيء نفسه أو الشيء عينه، وفي اللغات الثلاث يستخدم لفظ Idem أو Id للإشارة لشيء محدد، بمعنى هو ذاته. فكان "Grodbeck" جرودباك" أول من استعمل "Id أو Soi" كمصطلح للتحليل النفسي ليدل به على أمر غير شخصي في الطبيعة الإنسانية. (فارس، 2012-2013، صفحة 18) إنّ مفهوم الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب 'هو' مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها. (أحمد، صفحة 10)

أما في العصور الإسلامية والمعاجم العربية، نجد أنّ الهوية مفهوم يعني حقيقة الشيء أو الشخص الذي يميزه عن غيره، وعند ابن رشد تطلق بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم موجود، وعند "الفارابي" هوية الشيء هي: 'عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد الذي لا يقع فيه إشراك'. لكن "الجرجاني" نزع اللبس وبعض الغموض عن التعريفات السابقة في تمييزه بين الماهية، الهوية، الذات الحقيقية والجوهر فيقول: 'إن الأمر المتعلق من حيث ما هو مقول جواب ما هو ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية، ومن حيث حمل اللوازم له يسمى ذاتا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولاً، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهرًا'.

فالمفهوم اللغوي للهوية الذي يمكنه استخلاصه من جملة التعاريف المذكورة سابقا، هو أن الهوية هي التفرد وعدم الاشتراك بأي خاصية لشخص أو لشيء، مع شخص أو شيء آخر، وهذا التفرد هو الذي يجعل من صاحبه ذو ميزات خاصة دون أن يقع اللبس مع شخص آخر.

2.2. التحديد الاصطلاحي للهوية:

يعود مصطلح الهوية إلى خمسينيات القرن الماضي، وذلك عندما حل محل مصطلح الطابع القومي National Character والروح الوطنية Natinal Soul ويقصد بالهوية - سواءً كانت هوية جماعة أو شعب معين- الملامح والسمات التي تميز جماعة ما أو شعب عن الجماعة الأخرى. وهذه الملامح في الغالب تكون نتاج تأثيرات لا يمكن حصرها بدقة، بعضها معروف أصلها وبعضها الآخر غير معروف مصدرها. والحقيقة أن موضوع تعريف الهوية موضوع معقد. فقد عرفها "ميلوسي" Melucci بأنها بناء نظام عمل وحركة يرتضيه أعضاء جماعة ما، يحدد توجههم، والفرص المتاحة أمامهم وأيضاً القيود المفروضة عليهم. (هويدا، 2015، صفحة 14)

تقول "هويدا عدلي": 'إن الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية - على وجه الخصوص - فإنه يتعامل مع مفهوم قلق من الناحية النظرية، يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات، حيث أنه من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكة نظرا، لما يثيره من إشكاليات عديدة. (نور، 2009، الصفحات 39-45)

أما مفهوم الهوية عند "عبد القادر الجرجاني" في كتاب "التعريفات" فهو يعني احتواء الشيء على حقيقته كاحتواء البذرة على الشجرة في الغيب المطلق، والشيء في هذا السياق هو الجماعة البشرية لأن الهوية لا تتعلق إلا بالمجتمعات، وحقيقة الجماعة البشرية لا تكمن في لوها، أو جيناتها أو أصلها العرقي، وإنما تستقر تلك الحقيقة في البناء الثقافي والمعرفي وفي شبكة العلاقات الاجتماعية التي تفصل الإنسان عن غيره ومن الثدييات التي ينتمي إليها بيولوجيا، أي أن هذه الحقيقة - التي هي الهوية- هي مسألة ذات طابع ثقافي حضاري، ومعرفي، واجتماعي، يتجلى في أعراف، وتقاليد، وقوانين، وسلوكيات ونظم حياة على اختلاف أنواعها ومستوياتها. (أحمد، صفحة 10)

إن الهوية هي المسألة الأساسية في الفلسفة منذ قال "سقراط": 'أعرف نفسيك بنفسك وصولا إلى "فرويد" ومرورا بالعديد من المعلمين والباحثين الآخرين. إذ يرتبط المفهوم الاصطلاحي للهوية بتعارف جماعة معينة، على أنها مجموعة متجانسة، اثنيا أو محليا، مهنيا، دينيا، أو قوميا. وهي الوعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي ويمكن أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم وتدفعهم إلى العمل مع

في تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعهم في التاريخ. وفي التعريف إشارة لمحددات الهوية، المتمثلة في: 'الوعي بالذات والمصير التاريخي الواحد، والهدف المشترك'. من جهة، وإشارة إلى أهداف الهوية من جهة أخرى المتمثلة في: 'الدفاعية للعمل، تثبيت الوجود، المحافظة على الإرث التاريخي، وتحسين الوضع في التاريخ'.

كما أن التعريف السابق تأكد على عدم وجود جماعة بشرية دون أن تكون لها فلسفتها الخاصة وقواعدها ومعاييرها، ولذلك لا تستطيع أن تعيش غير مكتثرة بما يحيط بها من جماعات تختلف عنها في القيم والتقاليد، لأنها تعتقد أن تلك الجماعات المغايرة تمثل تهديداً لمجتمعها. والهوية هي ذلك التماثل والاختلاف مع الآخرين في آن واحد، وهذا ما يؤكد عليه السياسي البريطاني الأسبق "أدموند بورك Edmand Burk" في قوله: 'الهوية هي ما تمثل في درجة الترابط الوثيق بين مجموعة الأفراد الذين يحملون نفس القدرات، كجزء من النظام الطبيعي من جهة وترابطهم من جهة أخرى، مع من يختلفون معهم أكتمالا لحياة المرء'. وهذا الاختلاف أو التماثل نابع من أنماط الحياة المختلفة الذي يتكون هو الآخر من عنصرين أساسيين هما:

- الطبيعي أو الفطري، لا يتغير من مكان لآخر.
- الإتفاقي أو العرف أو العادة، يتغير من مكان لآخر، لا يمكن من خلاله أن يقوم نمط مجتمعي بمعايير نابعة من عرف أو اتفاق نمط مجتمعي آخر.

فالهوية بشكل عام، تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم. وكثيرا ما يتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها، مثل الجنس الطبقة أو الاثنية... .

فالتعاريف السابقة، تجعل من الهوية المحدد الذي يمكن للفرد من خلاله أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة، التي يتمثل مع أفرادها باعتباره عضوا فيها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون ممن يختلفون معه. وهذا التشابه والاختلاف ناتج عن جملة من العوامل، إما طبيعية مفروضة على الأفراد، أو مكتسبة من خلال مراحل حياتهم.

الهوية إذن؛ هي عبارة عن تأكيد للتماثل داخل الجماعة والاختلاف خارجها، ويحظى الأفراد بهويات مختلفة ومتعددة، بعضها اختياري مثل العقيدة وبعضها الآخر مفروض عليه مثل السلالة والجنس. كما أن الهوية الفردية والهوية الاجتماعية في علاقة تفاعلية بحيث أن الفرد هو المكون الأساسي للهوية الاجتماعية

في حين أن هذه الأخيرة هي التي تبلور هوية الفرد وتوجهها، ويتسم محتوى هوية الجماعة بأنها بناء اجتماعي، وأنها الشعور بالانتماء إلى جماعة والإحساس الإيجابي نحوها وهذا الانتماء إنما يتحكمان فيه حافظان يتمثلان في:

- الحاجة إلى الانتماء والتعاون مع الآخر الذي يحمل نفس التوجهات والمعتقدات.
- الحاجة إلى التميز والاختلاف عن الآخر ممن لا يتمثل معه. (فارس، 2012-2013، صفحة 21)

3. مفهوم الهوية:

بداية ظهر مفهوم الهوية في كتابات الفيلسوف والمؤرخ الألماني والاجتماعي "فلهلم دلتاي" (1833-1911)، وقد جعله "ماكس فيبر" (1864-1920) على مستويين: يتعلق المستوى الأول حيث يطلق عليه "دلتاي" إسم: الصورة الكونية، التي تؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلمات الافتراضية على العالم الحقيقي الواقعي، ويتعلق المستوى الثاني بالسياق التصوري، الواعي والإرادي، الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم الواقعية أو المركبة من النواحي الثقافية في الأصل، لكن أيضا من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والثقافية. (هاني، 2020)

1.3. الهوية في الفكر السياسي:

إنّ العالم أرحبيل مفتوح تلاقت فيه الشعوب وتمازجت فيما بينها، وهو أيضا ملتقى القوميات والإثنيات والثقافات مثل: البابلية، الآشورية، الفينيقية، الفارسية، الهندية، التركية، الكردية والزنجية، إضافة الى الإسلام هناك المسيحية واليهودية وغيرها، وتلاقحت هذه الثقافات والأديان المتنوعة في كلِّ إنساني وثقافي واحد، لكنه متعدد وغير ثابت. (شعبان، 2017، صفحة 22)

يُعرّف الفكر السياسي بأنه ذلك البنيان الفكري المجرد المرتبط بتصوير وتفسير الوجود السياسي، وأنه يمثل كل ما يخطر في ذهن الإنسان حول تنظيمه السياسي وحياته العامة كما هي أو كما يجب أن تكون. (بطرس، 1991، صفحة 24)

كما يُعرّف الفكر السياسي، بكونه ذلك الحقل المعرفي من علم السياسة الذي يشتمل على معالجة الأفكار والنظريات والقيم التي تعمل على تحريك السياسة والسلوك السياسي. وبذلك يشتمل هذا المفهوم على النظريات التي يحاول من خلالها الأفراد تفسير السلوك السياسي لبعضهم البعض، كذلك ينطوي على

القيم التي بموجبها يتم تقييم وتكوين الآراء عن السلوك السياسي لبعضهم البعض، فضلا على اهتمامه بالآليات التي يقوم بواسطتها الأفراد بالسيطرة على ذلك السلوك. (علي، 2010، الصفحات 46-47) وبذلك تكون الأفكار السياسية تصور عقلائي للظاهرة السياسية، وتمثل صورة الظاهرة السياسية كما يتخيلها الإنسان في مختلف الأزمنة والأمكنة. وأما تقوم على التأمل سواء كان فرديا أو جماعيا وتختلف عن كونها واقع قائم.

وبناءً على التسلسل المنطقي للتاريخ، اختلفت الموضوعات التي تعرض لها الفكر السياسي وتنوعت باختلاف مراحل حياته فمنذ وجد الإنسان بدأ يفكر في حياته وحياة الجماعة التي يعيش فيها وطبيعة تنظيم هذه الجماعة والسلطة القائمة فيها، تطورت أفكاره السياسية بتطور الزمان والمكان. (بطرس، 1991، صفحات 24-26)

وعلى هذا الأساس، اجتهد الكثير من علماء الفكر السياسي ما يزيد والمفكرين في تعريف الهوية دون تباين كبير، خاصة في ظل الجدل القائم وارتفاع وتيرته منذ ما يزيد عن ربع قرن تقريبا، وأجمع العلماء على أنّ الهوية هي حقيقة الشيء أو الشخص المطلق التي تشمل صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره، وأما القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات التي تتميز بها أمة عن غيرها من الأمم وتجعل الشخصية القومية لهذه الأمة طابعا متميزا عن غيرها من الأمم تستمد من العادات والتقاليد، الدين، اللغة، التاريخ، التراث، ووحدة الأصل والمصير المشترك.

لعل السؤال الذي يواجه البشر منذ الخليقة فرديا وجماعيا: من أنا أو من نحن؟ ثم يستكمل هذا السؤال من خلال أسئلة أخرى تتعلق بالعمل والمشروع، الذي يمثل الإنسان، نشأة وانتماء كمعطى أول، وفيما بعد عملا وضرورة، كمعطى ثانٍ. الأول سيكون معطى دون خيار، أما الثاني فهو خيار أي أنه تفضيل بين خيارات، وبالتالي سيكون خيارا واعيا ومكتسبا، من خلال وعي وعملية خلق. وإذا كان الأول طبيعيا، فإن الثاني يعبر عن الإرادة البشرية - التدخل الإنساني - لإكساب الهوية شكلا جديدا مفتوحا قابلا للتطور. (عبد الحسين، 2017، صفحة 20)

لقد كانت الهوية مقترنة بفلسفات الحضور الميتافيزيقية الكبرى (الواحد البارمنيدي، المثال الأفلاطوني، الجوهر الأرسطي والديالكتيك الهيجلي)، عبرت هوية الأحاد هذه عن نفور ال99 من مظاهر التناقص

والاضطراب والتكثُر، وفي المقابل ميلانه للسكون والتوقف والانسجام. كان "لوغوس"¹ رمزا لكمال الواحد وثباته لماهيته وعدم تناقضه رغم تغير الأعراض وتكثر الأحوال المتنازلة منه (نظرية الجوهر الأرسطي)، وتبعا لذلك لم يعالج الإغريق قضية الهوية في مستوياتها "الأتيقية"² والسياسية والحقوقية، فالهوية عندهم كانت النقيض الجدلي للكثرة. لا علاقة لمتافيزيقا الهوية بدلالات الهوية هنا كإرادة أفراد أحرار، لا تتحد هوياتهم وفق أي مرجعية خارجية (الوجود، الميتافيزيقا، المثل، الله والطبيعة)، بل وفق ما يرونه مناسباً لتأويلاتهم الفردية. (البشير، 2016، صفحة 34)

كما حظي مفهوم الهوية باهتمام العديد من المفكرين على مدار الأزمنة المختلفة، بدءاً من "أرسطو" حتى العصور الحديثة، خاصة مع تعدد الصراعات والمواجهات بين الهويات المختلفة، والتي عادت ما ينجم عنها مجموعة من الأزمات. ولذا باتت الهوية واحدة من أهم القضايا التي تستحوذ على اهتمام المفكرين وعلماء الاجتماع والسياسة في الوقت الحاضر.

في حين أن "الفارابي" يعتبر أن هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد كلها واحد، أما عن معنى: 'هو' فتدل إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد الذي لا يقع فيه اشتراك. (جلال، 1994، صفحة 496)

* **اللوغوس Logos**: لفظ يوناني يعني الكلمة أو العقل أو القانون، وهو مصطلح شائع الاستعمال في الأدبيات الفلسفية والدينية، فهو عند أفلاطون وأرسطو قانون الوجود وأحد المبادئ المنطقية، وعند الرواقيين قانون العالمين الطبيعي والروحي في إطار وحدة الوجود. كان أول من استخدم مفهوم اللوغوس في الفلسفة اليونانية "هراقليطس" في فلسفته عن التغير والصيرورة فقد جعل اللوغوس المنظم لكل الأشياء والأساس والمبدأ الذي تتم به عملية التغير والسيلان، عن المرجع: Arab-ency.com.sy/detail/9769 تاريخ الإطلاع: 2020/07/01، على الساعة 13:35 د.

* ينحدر **مفهوم الأتيقا** من الأصل الأغرريقي Ethos وتعلق بميدان الأفعال الفردية ومجال الأحكام القيمة التي تحمل عليها، بحيث درج الناس على التفريق بين الوفاء والخيانة وبين الإخلاص والخديعة وبين الصدق والكذب وبين الشجاعة والجبن وبين الجرأة والخمول وبين التهور والتعقل وبين البر والبخل. واستعانوا أثناء هذا التمييز بمجموعة القيم التي توجه علاقاتهم مع الغير وتحدد كيفية تصرفهم في حالة وجودهم في وضعيات اجتماعية مغايرة لوضعياتهم الأخلاقية الأولية وتتأثروا باندراسهم في العالم وتتغيروا بمرور حركة التاريخ وطبقات الميراث والعادات التي تشكل العلاقات الأسرية والاقتصادية والعاطفية، عن المرجع: laracheinfo.com/1270208.html تاريخ الاطلاع 2020/07/10، على الساعة 11:44.

أما "ابن رشد" في كتابه 'ما بعد الطبيعة' فقد فرق بين الوجود والذات؛ حيث حدد الهوية بأنها: الدلالة على معنى الوجود، وليس على معنى الذات. (محمد علي، 2014، صفحة 47)

وثمة تعريفات وتفصيلات عديدة ومتنوعة تبحث في معنى الهوية، سعى في تأصيلها مفاهيمياً جملة من علماء الفكر السياسي عبر مراحل مختلفة من الأزمنة والأمكنة، خصوصاً إذا اعترفنا بأن الهوية لا تعد منجزاً مكتملاً، أي ليس لها نزوع مقدس، فهي في حالة من التطور والتغيير، وخصوصاً بالتفاعل مع الآخر ومثل تلك العلاقة التفاعلية - التبادلية مع الغير هي إثراء للهوية ذاتها، وليس إلغاءً لها وهو ما يذهب إليه "هول ستيوارت" الذي يعتبر الهوية في حالة تحول دائم، فهي ليست معطى منجزاً متكاملًا لا ينتهي.

وفق ما تم طرحه سابقاً، فإن السابقين اتفقوا في تحديد مفهوم الهوية على أنها الوجود، الذي يترادف مع الكون في تصور الحكماء، المتكلمين، الأشاعرة والمعتزلة، وهذا ما أوضحه "محمد علي التهانوي"³ في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، من أن الوجود هو رؤية كونية كلية لعالمي الغيب والشهادة وهي التي تصدق على كثيرين، أي لا تصدق إلا على فرد واحد هو خالق هذا الوجود 'الله' لأنه الذات الواحدة المطلقة المتفردة التي ليس كمثلها شيء في الصفات، والأسماء والنعوت، والمرتبة ... فسبحانه حاضر في الذهن وهو يقع في الوجود المحض الذي لا يصح فيه عدم، ولا يشابهه العدم من الغيبوبة والفناء. فالهوية في معناها المجرد هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقل بها الذات عن الآخر فبغياح هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبمخضورها تحضر.

كما نُظر إلى الهوية على أنها 'حقيقة الشيء أو الشخص المطلق التي تشتمل على صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره، وأنها القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات الثعامة التي تميز حضارة أمة ما عن غيرها من الأمم وتجعل للشخصية القومية لهذه الأمة طابعاً تتميز به عن غيرها من الأمم تستمد من الدين واللغة والتاريخ والتراث المشترك، ووحدة الأمل أو المصير - أو ما يعرف بالرسالة الإنسانية - والوحدة السياسية والبيئية لهذه الأمة. كما نظر إليها على أنها 'ثوابت الشيء التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى

³ محمد علي التهانوي: باحث هندي وعالم موسوعي ولغوي من أئمة القرن الثاني عشر للهجرة. و"التهانوي" نسبة إلى مسقط رأسه 'تانه' بمون' من ضواحي دلهي. عاش "التهانوي" في عصر سلاطين الدولة المغولية في الهند، فأدرك طرفاً من عهد الإمبراطور "أورونغ زيب" الذي عرف الهند في عصره حركة علمية ثقافية نشطة بتشجيعه لها. لا يعرف بالتحديد سنة وفاته، وقد رحل "كفيل أحمد القاسمي" أن وفاته كانت سنة 1191 هـ، استناداً على مقالة بالأردية كتبها "نور الحسن راشد الكاندهلوي"، وذكر أن توقيع "التهانوي" وجد في وثائق وفتاوى إلى سنة 1191 هـ، ولا يوجد له توقيع بعد هذه السنة.

وتفصح عن ذاتها دون أن تخلى مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة! (عصام، صفحة 57)

وكتب المفكر الفرنسي "أليكس ميكشيللي" عن الهوية بأنها: منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتميز عما سواه وشعر بوحده الذاتية. (سعيدة، 2005، صفحة 27)

4. أنواع الهوية:

وَلَدَ الوزن النسبي لهذه المكونات في تشكيل الهوية أنواعا متعددة من الهويات، حيث يمكن التمييز بين أنواع الهوية استنادا لعدة عوامل، يتمثل العامل الأول في العنصر الأكثر تأثيرا في تكوين الهوية: هل هو الدين أم التاريخ أم اللغة؟ حيث يتم التمييز بين الهوية الدينية، مثل الهوية الإسلامية وبين الهوية اللغوية مثل الهوية العربية، والهوية الثقافية، والهوية الإثنية، والهوية الكردية، والهوية العرقية... إلخ.

1.4. الهوية الثقافية:

في الحقيقة يتعذر تصور الهوية والثقافة كمفهومين واقعيين منفصلين (فما من هوية إلا وتحتزل ثقافة، فلا هوية من منظور ثقافي، ولا تستند إلى خلفية ثقافية، والثقافة في عمقها وجوهرها، هوية قائمة بالذات). (البشير، 2006، صفحة 457)

ومن المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونيسكو: (أنّ الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء أننا أفرادا ننتمي إلى جماعات لغوية محلية، أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه؛ وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر -بطريقة سلبية أو إيجابية- الطريقة التي نتسبب بها إلى جماعتنا والعالم بصفة عامة). (ناصر، 1435هـ، صفحات 5-6)

إن التطرق إلى الهوية الثقافية تجدر بنا أولا الإشارة إلى مفهوم الثقافة، ويعرفها "تايلور" على أنّها 'الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات، وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد من مجتمع' وبذلك فإنّ الهوية الثقافية لشعب ما، تتحدد على أساس ثقافته التي

تعتبر المرجعية الأساسية للتمييز بين المجتمعات، ولقد أدى تبني الثقافة للتمييز بين المجتمعات، إلى ظهور الثقافة لدى الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع أمثال: "كاردينر" و"مالكلياند" و"البيتون" و"بنديكت" ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر (19). (ناصر، 1435هـ، صفحة 8)

تأسيساً لذلك، فإن الثقافة بمجموعها مميزة لأهل ذلك المجتمع أو لتلك الأمة عن مجتمعات وأمم أخرى، وهذا هو الواقع، فإن التمايز بين الأمم هو بهذه القضايا: العقائد، والقيم، والنظم والأعراف. ومن ثمة فهناك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يصعب الفصل بينهما، وإذ أن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة، وقد تعددت الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تنوع الهويات في الثقافة الواحدة، وذلك ما يعبر عنه بالتنوع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب الى ثقافات متعددة، تترجم عناصرها وتتلاقح مكوناتها، فتتلور في هوية واحدة، وعلى سبيل المثال، فإن الهوية الإسلامية تتشكل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواءً اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وتلاحقت معها، العربية الإسلامية، فهي جماع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية، منفتحة، وغير منغلقة. (هويدا، 2015، صفحة 14)

وتخلص "هويدا عدلي" إلى أن هناك أربع عناصر تحدد الهوية الثقافية:

- مجموعة من الملامح الثقافية الخاصة بجماعة سياسية واحدة بما يميزها عن غيرها من الجماعات.
- وجود علاقة بين الثقافة والهوية، فالثقافة هي التي تشكل الهوية، هي التي تعطي الاسم والمعنى والصورة، أي هي التي تجعل جماعة ما تتميز أو مختلفة عن الجماعات الأخرى.
- تتكون الهوية الوطنية من مجموعة من الرقائق التي تتكون عبر الزمن، والتي تشكل النسيج الذي يربط الهوية الفردية بالجماعية، وكذلك بالهوية الوطنية.
- الطابع الديناميكي لتشكيل الهوية، فالهوية ليست ثابتة وأبدية، لكنها تشهد عمليات تحول وتغير عبر الزمن، نتيجة تحولات اجتماعية، اقتصادية، وسياسية، وثقافية عديدة، وبالتالي هناك ما يستمر، وهناك ما يختفي.

2.4. الهوية اللغوية:

تنبؤاً قضية اللغة والهوية مكانة مركزية، فهي ليست مجرد أصوات وحروف وكلمات يُعبر بها للتواصل بين الأفراد، بقدر ما هي مخزون المعارف والثقافات التي يمتاز بها بنو البشر كل عن الآخر، وهي في الوقت نفسه

مسألة ذات وهوية، وتماسك مجتمعي، وتراث حضاري، فالأمة بالأساس هي وحدة لغوية واللغة هي المكون لهوية الأمة ووحدها، وجوهر الهوية الجماعية.

واللغة مثلما هي وسيلة للتمييز بين الأمم، فإنها كذلك وسيلة للتمييز بين الأشخاص والمفاضلة بينهم، ووسيلة للتمييز بين أبناء العصور والأزمنة المختلفة. (بلال، صفحات 100-101)

يتركب مصطلح " الهوية اللغوية" من لفظتين مرتبطتين على سبيل الاضافة والاقتران لضرورة وعلاقة وظيفية بين طرفي المركب، وظيفه لا تتحقق في غياب أحد الطرفين، طرف اللغة وطرف الهوية...عندما تتقابل اللغة مع الهوية بوصف كل منها مفهوما وظاهرة انسانية، تأخذ اللغة على صعيد المفهوم مستويين، مستوى الهوية اللغوية ومستوى الهوية الثقافية أي اعتبار اللغة كنسق رمزي لفظي ودلالي وكمنظومة لسانية قائمة بذاتها لها هويتها وذاتيتها تمثل انتماء قائما بذاته مستقلا عن غيره له خصوصيته، يرتبط ويتمسك به أهله ويعتزون ويفخرون. ومستوى اللغة كنسق في سياقاتها وحصاري وتاريخي ما يمثل هوية ذاتية مندمجة في هوية ثقافية وتاريخية أكبر وأعم سواء كانت هذه الأخيرة من انتاج الهوية اللغوية كعموم أساسي أو من غيرها وفي الحالتين معا تعبر اللغة عن هوية أي هويتها الذاتية وعن غيرها ثقافيا وحصاريا وتاريخيا. (البشير، 2006، صفحات 168-169)

3.4. الهوية التاريخية:

عندما تجتمع الأحداث التاريخية في صنع ملحمة شعب ما أو قوم، فإنهم يتشابهون في مرجعيتهم التاريخية التي تميزهم عن غيرهم، وقد تندرج فيها عدة شعوب، مثلما كان الحال في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث ظهرت موجة التحرر في دول إفريقيا وآسيا وظهرت ككتل للدول الأفروآسيوية تحت نطاق التحرر في دول إفريقيا وآسيا تحت نطاق التحرر ورميا إلى التموقع في إطار الثنائية القطبية، باسم مجموعة 77 وكذلك دول عدم الانحياز وفيما بعد فتحت الباب لظهور العلاقات جنوب جنوب.

4.4 الهوية السياسية:

لقد ظهرت الهوية السياسية، بظهور القوميات الأوروبية في القرن الثامن عشر فتوحدت الجمهوريات الفرنسية والاطالنية كذلك وتقوم الهوية السياسية على مجموعة من المقومات وتتمثل في: المجال الجغرافي المشترك، التاريخ المشترك، ثقافة شعبية مشتركة، لغة مشتركة، ومنظومة حقوق وواجبات مشتركة بالإضافة إلى إقتصاد مشترك.

5.4. الهوية الدينية:

يطلق عليها الهوية الدينية أو الهوية العقائدية وظهرت بظهور الأديان والرسول، ولكنها تجلت أكثر بمحجىء الإسلام، فجعل الله الدين رابطة قوية، بل هي أقوى من الروابط الأخرى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ ولقد جمع الدين الإسلامي عبر التاريخ في الدول التي قامت على أنقاض الخلافة الراشدة بين تركيبات حضارية متنوعة، كالحضارة الفارسية، العربية، الأمازيغية والأوروبية... (زيان، 2010، صفحات 300-301)

ينصرف العامل الثاني إلى حدود تأثير الهوية (دائرة الهوية)، وهنا يتم التمييز بين الهوية الإثنية أي التي تقتصر على جماعة إثنية مثل الشيعة والسنة، وهوية الدولة، أو الهوية الوطنية، مثل الهوية المصرية والهوية الفرنسية، والهويات العابرة للدول، مثل الهوية الإسلامية والهوية العربية...

يتمثل العالم الثالث في كيفية تعريف الهوية للذات في مواجهة الآخر، المهم The Important other، وقد ميز "ألكسندر ونت" استنادا لهذا العامل بين نوعين من الهوية، يمثل كل منها طرفي خط متصل يتحرك فيه الفاعل الدولي: يمثل النوع الأول في التعريف النسبي للهوية والمتمركز حول الذات Egoistic، ويتمثل النوع الثاني في الهوية الجماعية Collective.

إن الحديث عن ثنائية الهوية وتأويل النص الديني، يعتبر من أكبر المسائل إثارة للتقصي والنقاش في العالم العربي الإسلامي، لأن التأويل كاستنطاق للمعاني الواردة في النص الديني قرآنا أو حديثا... هو أكثر المواضيع إثارة، أثناء الحديث عن ما يعرف بالهوية عند المسلمين - الهوية الإسلامية 55 تحديدا، ولاسيما إن كانت هذه الأخيرة تستمد وجودها عندنا، من نوع القراءة أو الفهم الملحق بالنص الديني، الذي يساهم من قريب أو من بعيد في صناعة نمط من الشعور بالانتماء للمسلم، حيث يتأثر هذا الشعور بتغير الفهم الملحق بالنص الديني، وبالتالي يحدد تصور المسلم لهويته، فالفهم إن كان اصوليا ورجعيا فهنا دون شك يصنع هوية منغلقة عند أنصاره، إن كان علمانيا ويساريا شأنه أن يدعو الى الانفتاح دون حدود والدوبان في هوية الآخر إن كان يراوح بين التصويرين فإنها يؤسس لهوية تجمع بين الخصوصيات والانفتاح. (البشير، 2006، صفحة 339)

ولعل التعريف الوحيد للهوية الذي عرفته الثقافة العربية الإسلامية هو التعريف المنطقي لها، إذ فهمها "الفارابي" على أنها من 'الموجودات وليس من جملة المقولات، فهي من العوارض اللازمة، وليس من

جملة اللواحق التي تكون بعد الماهية، وقلنا إنه 'هو' إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد الذي لا يقع فيه اشتراك'. (مجموعة باحثين، صفحة 401)

لذلك عندما نقول هوية عربية إسلامية أمازيغية فإنها تدل على تماهي بين صفات اللغة العربية والدين الإسلامي واللغة الأمازيغية تصور هوية جزائرية الذي لا يمكن ان يدرك دون واحدة من هذه الصفات، لأنهم محققون مبدأ التكافؤ بلغة المناطقة. (البشير، 2006، صفحة 22)

إذن يشكل تأويل النص الديني والهوية ثنائية خطورة في الدور الذي يؤديه في فهم وترجمة النص الديني في بلورة الاحساس والشعور بالانتماء لدى أفراد المجتمع العربي والإسلامي كما يشكلان تحديا كبيرا في ظل العولمة، خاصة في ظل الصراع الهوياتي القائم حاليا والمنتشر في الاقطار العربية الاسلامية حديثا.

6.4. الهوية الشخصية (الذاتية):

هي مجموع علامات أو سمات نفسية وجسدية خاصة بشخص بعينه عن غيره من أبناء جنسه كما أنها مجموعة "قرائن قابلة للتجربة والقياس تحدد هوية كل فرد من الناس. (لونيس، 2012-2013، صفحة 22) بحيث أن لكل إنسان من ملايين البشر أربع خصائص تتكامل فيما بينها لتعطي سمة خاصة به وحده دون غيره هي:

- بصمات الأصابع: التي يشير إليها الخالق عز وجل بقوله: {بلا قادرين على أن نسوي بنانه}.
- البصمات الصوتية: التي تميز صوت كل شخص عن غيره، إلى درجة أن التحليل المخبري يثبت علميا انتساب الصوت إلى صاحبه أو نفيه عنه بصفة قطعية.
- بصمات العين: ومن هذه الخصائص كلها جاء ما يسمى حديثا بجواز السفر البيومتري.
- الشفرة الوراثية: المكتشفة حديثا داخل كل خلية في جسم الإنسان، والتي تجعله يختلف بها عن أبيه وابنه وكل أسلافه وأخلافه في رقمه.

فيهذه القرائن الخاضعة للتجربة والقياس تحدد هوية كل فرد من الناس بين ملايين البشر من مختلف الأجناس. (أحمد، 2014، صفحات 23-24)

بالتالي هي ما يعرفها أي فرد حول من يكون، نسبة إلى الخصائص والميزات التي ينفرد بها عن الأفراد الآخرين وأن يفصل هويته عنهم. فالفرد يبقى دوما في صراع المكانة الاجتماعية، أي ذلك الصراع الفردي من اجل أن يتقبله المجتمع ويتمكن من تحقيق وجوده الاجتماعي، فالهوية الشخصية إذا هي ذلك الوعاء المتضمن لنسق المعاني في لحظة معينة من تفاعلات الفرد التي تمكنه من ضبط علاقته بذاته وبالמושوعات

الخارجية سواء كانت اجتماعية أو غير اجتماعية وهيكلتها على ضوء ذلك، وهي محصلة مختلف المعاني التي يكونها الفرد عن ذاته وعن الموضوعات الأخرى انطلاقاً من خبراته البيوغرافية واللحظاوية التي ينطلق منها:

- إقامة علاقات تفاعلية مع الآخرين على أن ذاته تختلف عنهم.
- القيام بأعماله وبناء مشاريعه.

كما تتميز فئات المجتمع بخاصيتين يعرفون من خلالها بأنفسهم، والتي تجعلهم متميزين عن غيرهم: الأولى: يعرفون أنفسهم بالأدوار الصريحة في الجماعات، وهو ما يتطابق مع شخصيات محددة وليس الفئات.

الثانية: الفئات الاجتماعية والتي تفهم من خلال المصطلحات المدروسة مثل المعتقدات الرغبة التعهدات الفكرية، الخصائص الجسدية، وغيرها من العناصر التي تفهم من خلالها الفئات الاجتماعية.

7.4. الهوية الجماعية (الاجتماعية):

إن الهوية كقضية بالغة التعقيد، وإن كان لا يوجد لأي فرد أو مجتمع هوية واحدة تستمر ولا تتحول تثبت وتتجانس دون تنوع في داخلها، فإن القول بأن هناك هوية واحدة، لا يمثل وصفاً للفرد أو المجتمع بل مشروعاً سياسياً يهدف إلى الاستحواذ على هذا المجتمع باسم الهوية، وهو ما يثير إشكالية أو أزمة الهوية Identity crisis في هذا المجتمع.

تؤكد مختلف الدراسات المتمحورة حول الهوية على أهمية تناول ووصف تصرفات الأشخاص الجماعية أكثر من الفردية لأسباب عديدة، يأتي في مقدمتها أن الحركة الجماعية لها سماتها التي تختلف عن الحركات الفردية، وغالباً ما يمكن فهم الفرد فقط من خلال فهم الجماعة التي ينتمي إليها والحركة الجماعية تتكون من الأفراد الذين يصنعون ويحققون من خلال أعمالهم وتصرفاتهم المظهر العام لأنفسهم وللآخرين. كما إن الفرد لا يمكن له أن يعرف نفسه ما لم يكن مدركاً للآخرين أمثاله فالشعور بالذوات الأخرى ضروري للشعور بالذات أو الوعي بالذات. لذلك عليه أن يثبت ذاته ويضع لها مكاناً في أوساط الجماعات، وبالتالي يكون أمام تحديد لهويته من خلال معرفته لنفسه بين الآخرين، ورؤيته لذاته كعضو في الجماعة الاجتماعية. فالفرد الذي مماثلة للذات يصنف في الجماعة، ومن له اختلاف في الذات يصنف خارج الجماعة.

يبقى أنه لا بد من الإشارة إلى صعوبة الوصف بالنسبة للهوية الاجتماعية، بالمقارنة مع الهوية الفردية، وذلك بسبب أنها تنبثق من السياق، وعلى سبيل المثال فإن السؤال من أنت؟ قد يعني القليل بالمقارنة مع أسئلة أخرى، مثل السؤال: إلى من تنتمي؟ وغيرها من الأسئلة التي تدور حول مصادر التاريخ المشترك التي تبدو عليه في الشكل الخارجي المرتبط بالسياق. (لونيس، 2012-2013، صفحات 22-24)

وفي العلوم الاجتماعية يرى "جورج هاربرت ميد" أن الهوية ترتبط بإدراك الآخرين، وتضمن أشكالاً معقدة من الفهم، ويضيف "ميد" أن الهويات الإنسانية تتأسس على ثلاث طرق للمحادثة بين الأنا، والأنا والآخر عموماً، حيث أننا ومن خلال انطباعاتنا على الآخر نرصده هوياتنا ونذكر انعكاساتها ونعرضها للآخرين، فالهوية هي محصلة المد والجزر الدائم لحوار ذاتنا مع الآخرين. (البشير، 2006، صفحة 456)

8.4. الهوية الوطنية أو القومية:

عادة ما يتداخل مفهوم الهوية القومية مع الهوية الوطنية، كما يلتبس من جانب آخر بمفهوم الأمة، وفي غالب الأحيان لا يحدث التمييز بين مصطلحي الأمة والقومية (إن كانت العلاقة بينهما سببياً إذ لا قومية بلا أمة)، وعليه فإن مفهوم (الأمة) من الناحية التاريخية سابق على مفهوم (القومية) الذي يعد حديثنا في الخطاب العربي... ثم إن كل حديث عن الهوية القومية يستدعي بالضرورة الحديث عن الهوية الوطنية فبينهما علاقة تداخل يمكن وصفها بعلاقة الجزء بالكل، فإذا كانت الهوية القومية ترتبط بالأمة، كالهوية القومية العربية مثلاً، فإن الهوية الوطنية جزء من هذا العام (الهوية القومية)، كان نقول مثلاً.. هوية جزائرية، مصرية سورية... إلخ. وعليه فإن الهوية الوطنية ترتبط بالدولة التي هي جزء من الأمة تحمل سماتها العامة التي توحد بين الدول التي تنضوي تحتها، كالدين واللغة والمصير المشترك، مع احتفاظ كل هوية وطنية بمناخها الثقافي الخاص، أي بخصوصياتها الثقافية التي تميزها عن باقي البلدان، فالهوية الوطنية في علاقاتها بالهوية القومية (تعني إيجاد التوافق أو التوافق أو التوازي بين الكتلة الاجتماعية ديموغرافياً ورفقتها الجغرافية التي تمارس عليها نتائجها الاجتماعي، وتعبر من خلالها عن نفسها عبر نمطها الثقافي الخاص بها، أما القومية فهي السمات المميزة (للأنا) البشر في عملية النتائج التاريخي عن (الغير) بما تحدد في الأناسي كعناصر الكتلة البشرية. (سعيدة، 2018، صفحات 26-27)

فقد عرفها "باركي" بأنها مجموعة القيم والالتزامات، وطرق الحديث والسلوك التي تشترك فيها جماعة سياسية واحدة، وذلك في مجال الشؤون العامة. كما أن هذه الهوية توحد المجتمع أو الجماعات السياسية حول فهم ذاتي مشترك، وتركز على إعادة إنتاج الجماعة، وتواصل الأجيال. ولأن "باركي" كان أكثر

اهتماماً بالأبعاد السياسية في تعريف الهوية، فإنها أشار إلى طريق تشكيل الهوية، عندما أكد أنها لا يمكن أن تفرض من أعلى، سواءً من الحكومة، أو النخبة السياسية، أو الثقافية، ولكنها لا بد أن تنمو ن خلال مناقشة ديمقراطية أوسع تمثيل للمجتمع كما أنها لا بد أن تعبر عن طموحات غالبية المواطنين في المجتمع. خلاصة القول: إن الهوية الوطنية لدى "باركي" أن تجسد المعتقدات، والممارسات، والمؤسسات والهياكل التي تشكل وتنظم سلوك الحياة السياسية. (هويدا، 2015، صفحة 14)

كما يرى " محمد منصور" أن تاريخ الهوية الوطنية ما هو إلا حصيلة تشابك الشروط المادية - كالأرض والطبيعة - والإرادية - مدى وعي الناس بالناحية المادية- الخاصة بأي شعب. إن هوية الأشياء الجامدة وغير العاقلة عرضة لتأثيرات الظروف الطبيعية المحيطة. أما الإنسان فإنه يتميز بامتلاكه بما يسمى بالإرادة أي القدرة على مواجهة الظروف المحيطة وتطويعها حسب حاجاته. إلا أن هذه الإرادة لا تمتلك القدرة المطلقة لنفي الظروف، إنما استخدامها لصالحها أو ضدها، فمثلا من يغير اسمه أو يغير وطنه أو لغته وينتمي تماما لهوية أخرى بإرادته أو مجبر على ذلك. فمن الأفضل للإنسان أن يبقى على هويته خير له من أن يتمكنر بهويات أخرى فيفقد هويته الأصلية. (محمد، 2016، صفحات 63-64)

أما بالنسبة للهوية القومية نسبة للوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته، ومن هنا يمكن تعريف هوية أي أمة أو شعب من الشعوب بأنها مجموعة من الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الأمة أو هذا الشعب. والاختلاف في مقومات الهوية الفردية والهوية القومية، هو اختلاف في النوع وليس في الدرجة، فالهوية الفردية ذات سمات جسدية في الأساس والهوية القومية ذات سمات ثقافية في الأساس (دون أن يوجد أي تناقص بين الهويتين بل هما ترتبطان بعلاقة جزء بكل...). وفي معادلة موجزة يمكن القول بأنه إذا كانت بصمات الأصابع (الفردية) تميز شخصا ما عن آخر كما قلنا فالثقافة الوطنية أو القومية في عمومياتها هي البصمات الخاصة التي تجعل كل أفراد هذه الأمة أو تلك يتميزون (بهويتهم الجماعية) عن غيرهم من الشعوب والأمم... فحدد لثوابت ثقافتك أحدد لك سمات هويتك الوطنية والقومية. (أحمد، 2014، صفحة 25)

ويرى "هشام محمد الأقداحي" بأن الهوية القومية تتركز على الحدود السياسية والاستقلال الذاتي الذي غالبها ما يسوغ بحجج تتمحور حول الإرث الثقافي المشترك، حيث العنصر الإثني، مع ذلك متعدد. (هشام، 2010، صفحة 514)

فالهويات الوطنية حسب عالم السياسة "بينيدكت اندرسون" هي جماعات متخلفة يشكل (المخيل الوطني) تمثيلاً أسطورياً للأمة. يخترع تاريخاً يجعل جذوره تسبح في ماضٍ سحيق ويسرد فترات قديمة يظهر فيها أبطال وطنيون، حلقات مضيئة. اللغة المكتوبة حسب "اندرسون" هي الناقل الأساسي لهذا التوحيد الثقافي. (كاترين، 2015، صفحة 293)

9.4. الهوية القطرية:

هي مجموعة من الهويات الوطنية التي تلتقي في كثير من السمات والخصوصيات الثقافية كاللهجات المحلية والعادات والتقاليد، كما تجمعها بقعة جغرافية متشابهة من حيث التضاريس، والتي كانت في الأصل دولة واحد وانقسمت إلى دول فيما بعد بفعل الاستعمار الغربي الحديث. (سعيدة، 2018، صفحة 28)

10.4. الهوية الإثنية:

تجدر الإشارة إلى أن عملية تشكل هذه الهوية تم تضمينها ووضعها ضمن مفهوم التقدمية والتطورية، بالنسبة إلى الفرد فإنه يتحرك من الاتجاهات غير المكتملة وغير المراجعة في مرحلة الطفولة إلى مرحلة الاكتشاف إلى الحصول على هوية إثنية آمنة في آخر مرحلة المراهقة، فتشكل الهوية أو احساس الفرد بهويته الإثنية أو العرقية التي ينتمي إليها لا يحدث مرة واحدة وإنما تنمو وتشكل بإطراد مع تطور الفرد الحياتية بدءاً بمرحلة الطفولة لتتضح صورة هذه الهوية (الإثنية) للفرد في آخر مرحلة المراهقة حيث إنما يحصل للفرد في هذه المرحلة وما بعدها هو الاحساس بالانتماء إلى جماعة معينة دون سواها وينمو لديه شعور بضرورة الذود عن هذا الانتماء أو الهوية، لينتقل من مرحلة الذود عن الذات الفرعية إلى مرحلة الذود عن ذات الجماعة أو الهوية العمومية.

11.4. الهوية البيولوجية:

هو نقاوة العرق، واحتفاظ الجماعة العرقية أو الإثنية بسماتها البيولوجية التي تميز عبر مختلف العصور، ولكن يبدو أن الهوية البيولوجية بهذا المفهوم بدأت تفقد هويتها بسبب اختلاط الأجناس ما يؤكد مقولة: "إبن خلدون" (النسب خرافة). (سعيدة، 2018، صفحة 25)

12.4. الهويات الخلاسية/الهجينة:

كما أثرى المتخصصان في الدراسات الأفريقية "جون- لوأمسال" و"وأوليكييا مبوكولو" هذا النقد بمقاربة تاريخية تنتزع إلى تبين أن معظم الإثنيات الأفريقية هي تشكيلات تاريخي حديثة، ثقافتها هجينة دائما واسمها يأتي من التحديد الاستعماري. ذلك هو حال البال – Peuls * في إفريقيا.

13.4. الهوية الجيلية (نسبة إلى الجيل) بدل الهوية العائلية:

بعض الشبان مما بين المرحلتين – لم تتكون لديهم بعد – وهم يعيدون عن الخفة البريئة للسنوات الأولى – إرادة تأكيد الذات كما أنهم لم يتعدوا بعنف عن المحيط العائلي. يسمي "فرونسوا دو سانغلي" هذه الفترة المفصلة (أو المفصلية) – بالمراهقة الوليدة – مع الإلحاح على عدم خلطها بالمراهقة. يطلب هؤلاء الشبان قدرا من الحركات اللينة من أولياتهم (حول المواقيت، حول الخروج، حول الموسيقى، حول كيفية ترتيب الغرفة..). لكنهم ليسوا بعد في وضع يسمح لهم بمعارضة الهوية العائلية بأصالة شخصية. يقول فرونسوا (المراهقة الوليدة لا هي قطيعة مع الرابط العائلي ولا هي إبقاء لهذه الهوية المهيمنة. إنها زمن يبحث أثناءه الشاب/الشابة عن علاماته الجينية أكثر من العائلية كي يثبت ذاته ويثبت للآخرين أنه هويته لا تقتصر فقط على انتمائه العائلي). (كاترين، 2015، صفحة 230)

ومما سبق فالهوية ترسم معالم الشخص، وتحدد لنا عنوانه لأنها مرتبطة باللغة، الدين، وبالوطن الذي ننتمي إليه، وهي الأخرى تحدد لنا معالم الشخص على خريطة العالم. (سعيدة، 2018، صفحة 214)

14.4. الهوية الافتراضية: (الهوية الإلكترونية)

استحدثت تكنولوجيا الاتصال الكثير من المفاهيم والممارسات، وأحدثت تغييرا ثقافيا على عديد المستويات العلمية والتربوية والاجتماعية والثقافية وغيرها، مستحدثة فضاء افتراضيا وعلاقات افتراضية وجماعات افتراضية مما أنتجت لنا هويات افتراضية. وإن كانت كل هذه الفضاءات والعلاقات الافتراضية تطرح إشكالات على مستوى التوازن بينها وبين الفضاءات التقليدية فإن الهوية الافتراضية لا تطرح فقط إشكالا مفاهيميا، بقدر ما تطرح إشكالات على مستوى البيئة والوجود الافتراضي، لأن الممارسات الافتراضية التي تتعلق بالهوية لها امتداداتها وتأثيراتها على الهوية الوجودية للفرد، وعلى أبعادها الثقافية والاجتماعية. (البشير، 2016، صفحة 458)

فهذه الهوية ليست لها حدود جغرافية وتسمح في فضاء الأنترنت وتتفاعل مع الآخرين عبر النص أو الصوت أو الصورة أو الرموز. حيث حدد "عبد الحميد أمين" ثلاث خلفيات للهوية الإلكترونية:

- الإطار الذاتي للشخصية (الهوية الوطنية الواقعية).
- الإطار الافتراضي للشخصية (الهوية الافتراضية العالمية).
- الاطار الثقافي الطبيعي.

إلا أن الهوية الافتراضية حسبه تتعدد ضمن ثلاث مستويات:

- الهوية المعلنة: وهي المعلومات التي يقدمها المستخدم قد تكون حقيقية أو مزيفة.
 - الهوية النشطة: هي النشاط الذي يقوم به المستخدم في العالم الافتراضي.
 - الهوية المحسوبة: وهي حالة مستخدم في أثناء اتصاله بالإنترنت (أون-لاين) أو (أوف-لاين).
- (عبد الحكيم، 2018، صفحة 12)

ويحدد "علي الدين هلال" مستويات متعددة للهوية، حيث يقول: ينبغي التمييز بين ثلاثة مستويات مختلفة عند تحليل موضوع الهوية:

أولاً: الهوية على المستوى الفردي، أي شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية.

ثانياً: التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري.

تطلق الهوية أولاً على العلاقة الفكرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع فتردها إلى الوحدة في الإشارة. فمثلاً "أ" في هوية مع "ب" معناها أنه: على الرغم من الاختلاف في التعبير بين "أ" و "ب" فإن المقصود بهما شيء واحد.

فالهوية هي ما يجعل شيئاً ما متشابهاً تماماً مع شيءٍ آخر. والفهم، بوجه عام، يقوم في تھوية معرفة جديدة مع ما كنا نعرفه من قبل. وقد رأى "إميل مايرسون" في رد كل معارفنا عن الكون إلى الهوية المثل الأعلى للعلم.

وفي المنطق والرياضيات تدل الهوية على علاقة بين شيئين (أو كلمتين) كل طرف فيها يقوم برأسه. ويستخدم للدلالة على هذه العلاقة العلامة (=) هكذا: "س" = "ص". (وتقرأ: "س" في هوية مع "ص").

(عبد الرحمان بدوي، صفحة 569)

ثالثاً: حال تبلور وتجسد هذه الهوية في مؤسسات وأبنية وإشكالية قانونية على يد الحكومات والأنظمة. (إسراء، 2019، صفحة 1236)

الخاتمة:

بناءً على ما تقدم ذكره، حظيت الهوية بمكانة هامة لدى مفكري وباحثي الفكر السياسي على مر العصور، وتباينت التعريفات والاجتهادات التي وضعها المفكرين لتحديد مفهوم للهوية، وتحديد أنواعها؛ وخلصنا إلى اعتبار أن الهوية: هي مجموع القيم والصفات المشتركة التي تتماثل وتتقاسمها مجموعة من البشر فيما بينها، كالتاريخ، اللغة والثقافة...، وتختلف بهم عن الآخر، مما تميزهم عن غيرهم. إذن الهوية؛ هي وعي الإنسان وإحساسه بذاته وانتماءه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية، مجتمعاً أو أمة أو طائفة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام.

وتأسيساً على ذلك قد تتطور الهوية بالانفتاح على الغير، والتحاور مع الآخرين، وقد تنكمش، تتحدد أو تنقلص، تنحصر أو تنتشر، لكنها دون أدنى شك تعني بتجارب الناس ومعاناتهم وانتصاراتهم وآمالهم، وهذه المسألة تتأثر سلباً وإيجاباً بالعلاقة مع الآخر، فهي عملية إبداعية مستمرة ومفتوحة تحكمها نزعة البقاء والحفاظ على الذات.

قائمة المراجع:

- شعبان عبد الحسين. (2017). الهوية والمواطنة: البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة. ط1. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- كاترين هالبرين وآخرون. (2015). الهوي(ات)ة الفرد، الجماعة، المجتمع. ترجمة ابراهيم صحراوي. ط1، الجزائر: دار التنوير.
- باسل يوسف بجك وآخرون. (2006). استراتيجية التدمير اليات الاحتلال الامريكى للعراق ونتائجه (الطائفية - الهوية الوطنية - والسياسات الاقتصادية). ط1. بيروت: مركز الدراسات للوحدة العربية.
- أحمد بن نعمان. الهوية الوطنية: حقائق ومغالطات. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والإشهار.

- نور مسيهر العاني خليل. (2009). الهوية الإسلامية من زمن العولمة الثقافية. العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
- بطرس بطرس غالي. وآخرون. (1991) الفكر السياسي القديم والوسيط، ط12. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- علي مجيد حسام الدين (2010). إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الحسين شعبان. (2017). الهوية والمواطنة البدائل المتلبسة والحداثة المتعثرة. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جلال الدين سعيد. (1994). معجم المصطلحات الفلسفية. تونس: دار الجنوب للنشر.
- محمد علي الطنازقي. (2014). الهوية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر بين سيد قطب وعلي شريعتي. ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- سعيد اسماعيل علي. (2005). الهوية والتعليم. ط1. القاهرة: عالم الكتاب.
- ناصر بن سعيد بن سيف السيف. (1435هـ). الهوية والثقافة. الإمارات: دار كتاب للنشر والتوزيع.
- البشير ربوح. (2016). السؤال عن الهوية بالتأسيس... والنقد... والمستقبل. ط1، بيروت: منشورات ضفاف، بيروت، ومنشورات الاختلاف الجزائر العاصمة.
- أحمد بن النعمان. (2014). الوحدة الوطنية في وحدة الدين. الجزائر: دار النعمان للنشر والتوزيع.
- سعيد بن بوزة. (2018). الهوية والاختلاف في الرواية النسوية العربية. ط1. الجزائر: دار التنوير.
- عبد الرحمان بدوي. موسوعة الفلسفة. بيروت. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد الحكيم أحمين. مراجعة محمد شمدين. مراجعة كتاب الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية "أي دور لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية؟". الدوحة. قطر: مركز حرمون للدراسات المعاصرة.

- هشام محمود الأقداحي. (2010). العرق واللغة والهوية القومية. دون طبعة. الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- أحمد بن نعمان. (2014). الوحدة الوطنية في وحدة الهوية. دون طبعة. الجزائر: دار النعمان للنشر والتوزيع.
- محمد منصور حسين سيف. (2016). المواطنة والهوية في عالم متغير. دون طبعة، مصر: مكتبة الأبنجلو مصرية.
- فارس لونيس. (2012-2013). سياسات الهوية لدى الأحزاب السياسية الجزائرية (1989-2012): (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية). الجزائر: جامعة الدكتور طاهر مولاي، كلية الحقوق والعلوم السياسية.
- عصام محمد عبد الشافي. (2003). الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي (1990-2000): (رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية). مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
- هويدا عدلي. (يناير 2015). الكراهية في المجتمعات "أزمة الهوية". مصر: السياسة الدولية. ملحق بمجلة السياسة الدولية. مجلد 50. العدد 199.
- زيان عبد الوهاب. (جوان 2010). الجزائر والهوية الأمازيغية. مجلة معارف.
- مجموعة باحثين. عولمة والهوية الثقافية. إشراف جابر عصفور. القاهرة، مصر: سلسلة أبحاث مؤتمرات 7. المجلس الأعلى للثقافة.
- إسراء شريف جيحان وآخرون. (18.02.2019). مستقبل الهوية الفلسطينية في ظل ثنائية الاحتلال والمقاومة. بغداد. العراق: مجلة مداد الأدب. عدد خاص بالمؤتمرات.
- بلال ربيع البدور. دور التعليم الاعلام في تحقيق أمن اللغة العربية. "اللغة حصن وأمانة الهوية". ملتقى كلية اللغات والترجمة. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي.
- المرجع: مقال على الانترنت: هاني نسيرة، مفهوم الهوية بين الثبات والتحول،
<https://archive.islamonline.net/5378> بتاريخ: 2020.07.03 على الساعة:

.12:00